(آراء وأنباء)

فقيد المجمع

الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان

رحمه الله•

(١٩١٤ – ٢٠٠٦)

كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام

رئيس مجمع اللغة العربية

في صباح يوم الاثنين (١٤٢٧/٣/٢٧هـ – ٢٠٠٦/٤/٢٤م) وافت المنيةُ

• اختار الله تعالى فقيدنا الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان إلى جواره في صباح يوم الاثنين ١٤٢٧/٣/٢٧ هـ – ٢٠٠٦/٤/٢٤ م, بعد رحلة طويلة حافلة بالعطاء .

وقد أقامت الهيئات والمؤسسات العلمية التي عمل فيها حفل تأبين له مساء الثلاثاء ٢٠٠٦/٦/١٣ على مدرج جامعة دمشق ، بمناسبة مرور أربعين يومًا على وفاته.

وضمّ حفل التأبين نخبة من العلماء والمفكرين والأدباء وشخصيات الدولة وأهل الفقيد وطلابه.

وننشر هنا كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، التي أُلقيت في حفل التأبين. وستنشر جامعة دمشق جميع الكلمات التي ألقيت في الحفل في كتيّب خاص، تخليداً لذكرى الفقيد.

رحم الله فقيدنا الرحمة الواسعة، وأسكنه فسيح جنانه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصّدّيقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا.

الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان، ففقدنا بوفاته عالماً جليلاً، وأستاذًا قديرًا. وكانت الفجيعةُ بفقده بالغة، وملأ الحزن عليه النفوس. رحمه الله الرحمة الواسعة، وأنزله منازل الأبرار مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

تقلّب الأستاذُ سويدان في حياته العلمية في أعمال عدة، كان آخرها انضمامه إلى مجمع اللغة العربية.

وقد انتخب مجلسُ المجمع في جلسته التي عقدت في (١٤٠٣/٤/١هـ – ١٩٨٣/١/١٦م) الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان عضوًا في المجمع، للكرسي الذي شغر بوفاة الأستاذ الدكتور حكمة هاشم. وصدر بتعيينه المرسوم الجمهوري ذو الرقم ٨٩٩ (١٤٠٤/١/٧هـ – ١٩٨٣/١٠/١٣م).

واستقبل المجمعُ الدكتور عبد الحليم في جلسة علنية عقدها في قاعة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ببناء المدرسة العادلية مساء يوم الخميس (١٤٠٤/٨/١٠هـ – ١٩٨٤/٥/١٠م) حضرها نخبةٌ طيبة من رجال الفكر والعلم والثقافة، فانضم إلى زملائه المجمعيين الذين رحّبوا به أجمل ترحيب، عاقدًا العزم أن يشاركهم المشاركة الجادّة في مسيرتهم التي وقفوا نفوسهم على تحقيقها، ألا وهي خدمةُ اللغة العربية المبينة، والذودُ عن حياضها، والسعي الحثيث لتلبية مطالبها، وما تتطلع إليه من مصطلحات وألفاظ جديدة تُغني لغتنا العربية لتكون مواكبة دائمًا وأبدًا لما تقدمه الحضارة العالمية من معارف جديدة في مسيرتها الحافلة بالكشوف العلمية، وما يستتبعها من مصطلحات جديدة.

وكان الأستاذ الدكتور عبد الحليم قد تهيأ أحسن التهيؤ للنهوض بهذه المهمة

على خير وجه، فقد عُرف، منذ نشأته، بالتفوق في دراسته، مما أهَّله ليوفد إلى فرنسا كي يعزّز معارفه، ويوسّع مداركه، ويحصل على الشهادة التي تهيئه للنهوض بمهماته العلمية، وما تتطلبه من كفايات. لقد تقدم إلى المسابقة التي أعلنت عنها وزارة الزراعة، فكان الأول بين المتسابقين، والتحق بمدرسة (ألَغور) بفرنسا، قرب باريس، في العام الدراسي (١٩٣٦- ١٩٣٧م) لدراسة الطب البيطري. وتابع العمل بجدّ ونشاط حتى حصل عام ١٩٤٢م على درجة «دكتور في الطب البيطري»، وكانت تمنحها آنذاك وزارة المعارف الفرنسية وأكاديمية باريس، وقد أعدَّ أطروحته لهذه الدرجة العلمية في مخبر علم الطفيليات العائد لكلية الطب البشري في جامعة باريس. وكان موضوع الأطروحة: «داء الشريطية، المكورة الشوكية عامة، وفي سورية خاصة».

وفي العام الدراسي (١٩٤١- ١٩٤٢) حصل من جهة أخرى على «شهادة معهد الطب البيطري الأجنبي».

ثم اندفع في الدراسة دون توقف بعد ذلك في كلية العلوم بجامعة باريس، لأن فرنسا أوقفت الطلاب السوريين وأمثالهم عن الرجوع إلى بلادهم بسبب الحرب العالمية الثانية، وحصل من الكلية على خمسٍ من شهادات الدراسات العالية هي شهادات الدراسة العالية في علم الحيوان، وفي علم النبات، وفي الكيمياء الحيوية، وفي الفيزيولوجية العامة، وفي علم الحياة العام (البيولوجية العامة) (١٩٤١- ١٩٤٥م). ومشى في طريق العلم خُطًا مشجعة، على رغم ماكان يعانيه من شظف العيش ومصاعب الحياة في أيام الحرب القاسية، وتابع مسيرة الجدّ والتحصيل.

وعاد الأستاذ عبد الحليم إلى الوطن في شهر آب ١٩٤٥، وعُين في مدينة

دمشق في نطاق مديرية الصحة الحيوانية بوزارة الزراعة، ثم نقل إلى مدينة حماة وبقي فيها مدة، أُعيد بعدها إلى دمشق، واستقال من وظيفته في وزارة الزراعة في شهر آذار سنة ١٩٤٩ تمهيدًا لتعيينه بكلية العلوم في الجامعة السورية.

وفي شهر تموز ١٩٤٩ عُين أستاذًا مساعدًا في كلية العلوم. وفي أول عام ١٩٥٦ أصبح أستاذًا ذا كرسي. وفي أواخر عام ١٩٥٨ أصبح عميدًا لكلية العلوم، ثم عين وكيلاً لجامعة دمشق في شهر تشرين الأول ١٩٦٠، وفي شهر كانون الثاني ١٩٦٢م عاد إلى وظيفته أستاذًا في قسم علم الحيوان بكلية العلوم.

وفي وزارة الثامن من آذار سُمّي وزيرًا للزراعة (٩/٣-١١/٥/١٩٦٣م).

ثم استقال من وظيفته في كلية العلوم بتاريخ ١٩٦٩/٩/٣٠ ليصبح خبيرًا لليونسكو في مدينة الرباط، أستاذًا في «المدرسة العليا للأساتذة»، وفي العام (١٩٧٣-١٩٧٤) تعاقد مع جامعة الجزائر، وكان أستاذًا في الشعبة المعرّبة من قسم العلوم الحيوية في كلية العلوم بجامعة الجزائر. وفي مطلع شهر آب ١٩٧٤ أصبح خبيرًا لليونسكو في زائير، فكان مستشارًا فنيًا في المعهد العالي للدراسات الزراعية، وهو معهد من جامعة زائير. وعاد بعد ذلك إلى دمشق.

وفي شهر أيار ١٩٧٨ أُعيد إلى وظيفته السابقة في كلية العلوم بجامعة دمشق أستاذًا في قسم علم الحيوان، ثم أحيل على التقاعد في ١٩٧٨/١٢/٣١ لبلوغه الخامسة والستين، ومُدّد تعيينه سنة فسنة حتى أكمل السبعين في ١٩٨٣/١٢/٣١.

وللأستاذ الفاضل الدكتور عبد الكريم اليافي كلمة رائعة استقبل بها الدكتور عبد الحليم في جلسة المجمع العلنية في العاشر من شهر أيار ١٩٨٤ (مجلة

المجمع، مج٥٩، ج٣، ص٦٢١-٦٣٣).

ولئن عُرف الدكتور سويدان بنشاطه العلمي في دراساته العليا، إلى جانب ماتحلّى به من خلقٍ طيب، ولطف، ودماثة حبَّبته إلى أصدقائه وعارفيه، إن في هذا المعترك العلمي الواسع الذي عاناه وخبره ونهض بأعبائه في هذه المدة التي قضاها مع طلابه حينًا، ومع المؤسسات العلمية المختلفة التي عمل فيها، والتي بلغت نحو ثمانية وثلاثين عامًا (١٩٤٥- ١٩٨٣م) مازاد من معارفه، وثقته بنفسه كي يستقبل عمله في المجمع، مستعدًا له، ومستبشرًا به.

وإنَّ خير شاهد أسوقه هنا هو خطاب الأستاذ عبد الحليم سويدان في حفل استقباله، فقد ألقى كلمة افتتحها برغبته في التعاون مع إخوانه أعضاء المجمع في سبيل خدمة المجمع، وتحقيق أغراضه وأهدافه، وأنه سيبذل كل طاقته في مجال المصطلحات العلمية عامة، ومصطلحات علوم الحياة خاصة، لتبقى لغتنا قادرة على التعبير بكل دقة وأمانة عن كل ماينتجه الفكر العلمي ويصوغه.

ويذكر الأستاذ الفاضل الدكتور عبد الكريم اليافي أن الأستاذ سويدان عندما بدأ التدريس في قسم علم الحيوان في كلية العلوم بدمشق سنة ١٩٤٩م كان وحده تقريبًا في القسم، ولذلك بقي مدة يدرس معظم نطاقات علم الحيوان وعلم الحياة الحيوانية، وأعدَّ كثيرًا من الأمالي التي اشتملت على عدد كبير من المصطلحات العلمية التي وضعها. ولكنه لم يستطع إخراج هذه الأمالي في كتب، لأن قلة عدد الطلاب آنذاك في كلية العلوم لم تكن لتساعد على تأليف كتب كثيرة الأشكال، كبيرة التكاليف. وعندما أقرت الجامعةُ قواعد كان من شأنها التشجيع على التأليف كان الأستاذ سويدان خارج الوطن، ولما عاد إلى وظيفته في سورية في كلية العلوم في جامعة دمشق أستاذًا

في قسم علم الحيوان سنة ١٩٧٨ وضع كتابين لمادتين كُلّف تدريسهما وهما:

– «علم الحياة الحيوانية» (وهو يشتمل على علم الجنين وعلم الوراثة) لطلاب السنة الأولى في كلية الصيدلة بجامعة دمشق، صفحاته ٢٦٧ صفحة (ط. دمشق ١٩٨١ – ١٩٨٢م).

– و «تطور المتعضّيات الحيوانية» لطلاب السنة الرابعة – فرع العلوم الطبيعية في كلية العلوم بجامعة دمشق، صفحاته ٢٤٤ صفحة (ط. دمشق ١٩٨٣– ١٩٨٤م).

والاطّلاعُ على الكتابين يبين أن الأستاذ الدكتور سويدان قد آثر الأسلوب العربي السهل، البعيد عن التكلف، وأنه ختم كل كتاب منهما بجدول المصطلحات (بالعربية والفرنسية) على وجه مُرْضٍ، ثم يذكر مراجع الكتاب، وفهرسه.

وأمضى الأستاذ سويدان سنوات عمله في المجمع، نحوًا من ثلاث وعشرين سنة (١٩٨٣– ٢٠٠٦م) في عمل دائب منظم، فشارك في اجتماعات المجمع، وفي اجتماعات لجانه التي كان عضوًا فيها، وفي الندوات والمناشط التي يعقدها المجمع.

وقد بذل جهودًا طيبة في لجان المجمع التي عمل فيها مثل لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية وتقاناتها، ولجنة تنسيق المصطلحات وتوحيدها وألفاظ الحضارة، ولجنة المعجمات اللغوية، ولجنة النشاط الثقافي، ولجنة مصطلحات العلوم الطبيعية والزراعية، ولجنة المجلة والمطبوعات.

وكان أسلوب الدكتور عبد الحليم سويدان في كتابته سلسًا جميلاً، يتبدّى ذلك في الكلمات التي ألقاها في عدة مناسبات:

مثل كلمته التي ألقاها يوم استقباله في المجمع، وتحدث فيها عن سلفه الأستاذ الدكتور حكمة هاشم في ١٠/٥/١٩٨٤م، فقد قصَّ بأسلوبه السلس، وعبارته السهلة المستساغة سيرة سلفه الدكتور حكمة أيام دراسته في دمشق، ليذكر بعد ذلك إيفاده إلى كلية الآداب بجامعة باريس ١٩٣٧، وحصوله على درجة الإجازة في الآداب في دورة حزيران ١٩٤٠، ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية قد حال دون عودة الطلاب إلى بلادهم، فاستمرَّ الأستاذ حكمة في الحصول على شهادات أخرى ذكرها الأستاذ سويدان الذي مضى يتابع حياة سلفه إلى أن عاد به إلى جامعة دمشق، وعدَّد أعماله ومناصبه بدقة في دمشق حتى انتهى عمله الجامعي في ١٦/١/١٩٦٢.

ولم ينس أن يتحدث عن صفاته العلمية مثل قوله: «لقد كان في كلية التربية أستاذًا قديرًا مرموقًا متميزًا»، وقوله «لقد أدّى الدكتور حكمة هاشم مهمته في إدارة جامعة دمشق بكفاية وأمانة وإخلاص وحزم، وبذل جهودًا جبارة في سبيل إعلاء شأن الجامعة، ووضع خطة لتوسيعها، وإنشاء مدينتها الجامعية»، وأمثال ذلك.

كان الأستاذ سويدان يتحدث حديث مشاهد عن قرب، يروي الحقائق كما تبدّت له، فهو يقول مثلاً: «وعندما عُيّن [الدكتور حكمة] مديرًا لجامعة دمشق، وباشر عمله في ١ تشرين الثاني ١٩٥٨، عُيّنتُ أنا نفسي عميدًا لكلية العلوم في تشرين الثاني ١٩٥٨، ثم عينتُ وكيلاً لجامعة دمشق في تشرين الأول ١٩٦٠».

وكانت كلمته الثانية في حفل استقبال الأستاذ الدكتور زهير البابا في المجمع مساء يوم السبت ٢٧/٥/١٩٨٩، وكانت كلمة جميلة رشيقة، عبّر فيها عن

مسيرة الحياة العلمية للدكتور البابا في سورية حتى نال الإجازة في علوم الصيدلة والكيمياء، ثم ذكر إيفاده إلى بروكسل في بلجيكا للحصول على شهادة الدكتوراه في اختصاص علم العقاقير والنباتات الطبية. وكان قد نال الدرجة الأولى في الامتحان الذي قامت به الجامعة السورية.

وعاد الدكتور البابا إلى دمشق مظفرًا عام ١٩٤٨، بعد أن نجح في امتحان الدكتوراه في العلوم الصيدلية بدرجة جيد جدًا، مع تهنئة اللجنة الفاحصة، فعين في كلية الطب – قسم الصيدلة، وكُلّف تدريس مقرر علم العقاقير، ثم تدرج بعد ذلك في الهيئة التدريسية حتى أصبح أستاذًا ذا كرسي في عام ١٩٦٢م.

وفي ذلك العام انفصل قسم الصيدلة عن كلية الطب، ليصبح كلية الصيدلة، وعُيّن الدكتور البابا وكيلاً للكلية ورئيسًا لقسم العقاقير فيها. وتابع الدكتور سويدان مصاحبة الدكتور البابا في عمله وما قام به في ميداني علوم الصيدلة والإدارة، وتحدث عن عناية الأستاذ البابا بالبحث عن المصطلحات العلمية العربية التي تقابل المصطلحات الأجنبية، مستفيدًا في ذلك من الكتب العربية القديمة التي تبحث في علم النبات وفي علم الأدوية والأقرباذينات، كما استفاد من مؤلفات الأوربيين الذين درسوا العقاقير والنباتات المنتشرة في بلاد الشرق الأوسط، وتمكّن من إنجاز أول كتاب ظهر باللغة العربية في علم العقاقير وتشخيصها المجهري والكيماوي، ومضى الأستاذ البابا على هذا السنن في التدريس والتأليف وإلقاء البحوث في أسابيع العلم والندوات والمؤتمرات.

وأتيح للأستاذ البابا التفرغ للبحث العلمي في عام (١٩٨٠-١٩٨١) فقصد مدينة باريس، واطلع في مكتبتها الوطنية على جميع مافيها من

مخطوطات طبية عربية، وقام بفهرستها وتصنيفها وفقًا لأسماء المؤلفين، كما اطلع على فهارس المخطوطات العربية المحفوظة في أشهر المكتبات العربية من شرقية وغربية، وأصبح في مستطاعه أن يعرف أماكن وجود النسخ النادرة من التراث الطبي العربي، «ومضى على غلوائه يجري».

وكان أول كتاب أتم دراسته وتحقيقه هو «أقراباذين القلانسي»، أكملُ دستور الأدوية في الطب العربي، وقد طبع بحلب عام ١٩٨٣م.

وتقديرًا للدراسات القيمة والبحوث الأصيلة التي نشرها الأستاذ محمد زهير البابا حول الصيدلة والكيمياء، وفي التراث العربي والإسلامي، فقد منح جائزة الكويت لعام ١٩٨٦ في إحياء التراث العربي الإسلامي.

ومثلُ هاتين الكلمتين للدكتور سويدان كلمته في استقبال الدكتورة ليلى الصباغ (مجلة المجمع، مج٧٦، ج٢، ص٣٩٣- ٤٠٦)، وكلمته «مبادئ يركز عليها عند وضع المصطلح العلمي العربي» التي ألقاها في ندوة «إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح» (مجلة المجمع، مج٧٥، ج٣، ص٥٨٧- ٥٩٠).

وله كلمة قديمة نشرتها وزارة الزراعة – دائرة الإرشاد (كانون الأول ١٩٤٨ – النشرة رقم ٣٤) بقلم الدكتور عبد الحليم سويدان – طبيب بيطري، عنوانها: ديدان الرئة في الأغنام.

وآخر ماقام به الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان عمله في هيئة الموسوعة العربية بدمشق (رئيس قسم العلوم التطبيقية) من ١٩٨٥/٥/٣٠م إلى ٢٠٠١/٦/٣٠م، وكان يتابع عمله بجدّ ونشاط ليؤدي القسمُ الذي يتولاه مايُناط به من أعمال على أحسن الوجوه وأرضاها. وقد كان الموفق في إدارته وتوجيهاته.

ومن الطريف الممتع أن تطالعنا كلمة للأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان نُشرت في الموسوعة العربية (مج٥، ص٨٠٦- ٨١٠) بعنوان: البيونية، أو علم الأحياء الإلكتروني، وهو (مجال علمي تقني حديث نسبيًا، يسعى إلى تقليد الآليات الموجودة في الأحياء، وإيجاد آليات عضوية – صنعية تربط بين العناصر المصنعة والأجهزة العضوية في الجسم الحي لتعويض الخلل فيها...).

خير ماأنهي به كلمتي أن أزيّنها بما ختم به أستاذنا الفاضل الدكتور عبد الكريم اليافي كتاب ترشيح الدكتور عبد الحليم سويدان لعضوية المجمع قال فيها: «وستكون عضويته في مجمع اللغة العربية رفدًا لنشاط المجمع، ودعمًا لعطاء المجمع المثمر المفيد أيضًا، وتكريمًا لمن قضى شطرًا كبيرًا من حياته في خدمة تقدّم العلم، وتحرّي المصطلحات السليمة الصحيحة، وبلاغة التدريس في اللغة العربية».